مجلة الشهاب • المجلد: 09، العدد: 03 (2023م) • ص ص 441 - 456
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/391

اللُّغة العربيّة في العُلوم الطبّيّة
ـ أضواء على جهود أطباء من الأندلس ـ

Arabic Language in Medical Sciences
- Spotlight on the efforts of doctors from Andalusia-

د/ محمد سيف الإسلام بوفلاقة *
كلية الآداب واللُّغات، جامعة عنّابة (الجزائر)
saifalislamhousain@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/07/24 تاريخ الاستلام: 2023/10/14 تاريخ النشر: 2023/11/15

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص: يسعى هذا البحث إلى كشف النقاب عن بعض أوجه المُساهمة الأساسية للحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، في بلورة وتطور المعارف الطبية في مجال الجراحة؛ فقد كانت اللُّغة العربيّة هي اللُّغة الرئيسة لهذا التراث العلمي الثري، ومما حفزنا على انتقاء هذا البحث أن التراث العلمي العربي، والموروث الطبي الذي تركه العلماء المسلمون ليس معروفاً حق معرفته، ولم ينل حظاً وافراً من البحث والتنقيب؛ بل إنه قد لا يُفهم بما فيه الكفاية خارج إطار مجموعة من المتخصصين، وقد جاء البحث في ثلاثة أقسام؛ في مستهله قدمنا لمحة عن الطب الإسلامي، والطب الأندلسي، وفي القسم الأكبر منه، الذي يُعبِّر عن صلب الموضوع؛ تطرقنا إلى إسهامات أطباء الأندلس في مجال الجراحة، وأتممنا البحث بخاتمة، وقد عدنا في هذه الدراسة إلى العديد من المصادر والمراجع الطبية والتاريخية، إضافة إلى مراجع تتصل بتاريخ العلوم العربية، وأبحاث المؤتمرات والندوات، وبعض المقالات العلميّة المنشورة في مجال الطب العربي و الإسلامي والأندلسي.

الكلمات المفتاحية: اللُّغة؛ الطب؛ الأندلس؛ أضواء؛ العلوم.

Abstract: This research seeks to uncover some of the essential contributions of Arab-Islamic civilization in Andalusia including the development of medical knowledge in the field of surgery. Arabic language was the main language of this rich scientific heritage. And the main reason led us to choose this research is that the medical legacy left by Muslim scholars is not well known and there're no much researches that tackled it.
The research is divided into three sections. The first one provides a glimpse of Islamic medicine and Andalusian medicine in general. The second and the main section is devoted to discuss the contributions of Andalusian doctors in the field of surgery. And the last section is conclusion that covered the main results and findings.

* المؤلف المراسل.

To conduct this research we used a set of historical and medical references and sources (conference research and seminars, and some scientific articles published in the field of Arab, Islamic and Andalusian medicine.)
Keywords: the language; Medicine; Andalus; Lights; the sciences.

1. مقدمة

إن من يتأمل في جهود أطباء الأندلس في مجال الجراحة؛ يُدرك أن الأنشطة الطبية باللُّغة العربيّة نشأت في بلاد المسلمين في سياق تفاعل علمي وثقافي عميق، ويُضاف إلى هذا الأمر أن عدداً غير قليل من النخبة المثقفة لا تُقدر إسهامات أجدادنا العلماء باللُّغة العربيّة حق قدرها، و يُجمع الدارسون على أن الجراحة قد ازدهرت أيما ازدهار في البلاد الأندلسية، وبلغت قمة الازدهار بفضل الطبيب العربي الأندلسي المسلم (أبو القاسم الزهراوي)؛ الذي عاش خلال القرن الرابع الهجري، وقد ذهبت العديد من الدراسات إلى أنه أول من أرسى الأسس العلمية، والقواعد الرئيسة للجراحة؛ حيث يذكر الباحث محمود هشام النعسان في كتابه: « الجراحة في الطب الأندلسي» بأنه قد «أخرج الجراحة من امتهان صنعة اليد إلى علم راق وفنٍّ متقنٍ؛ مما جعل المؤرخين يجزمون بأن الجراحة عند الزهراوي كانت تمثل الجراحة الأرقى ليس عند المسلمين فقط، وإنما في العالم بأسره آنذاك، وقد ظهرت عبقريته في موسوعته: (التصريف لمن عجز عن التأليف) ».

وقد أفاد أيما إفادة من جهوده في هذا المجال الطبيب العربي المسلم المعروف (ابن زهر)؛ الذي عاش في القرن السادس الهجري، وقدم إضافات علميّة ثمينة في هذا المجال، وظهرت نتائج جهوده المضنية في كتابه: « التيسير في المداواة والتدبير».

وقد برع الطبيب الأندلسي المسلم (أبو عبد الله القربلياني) في مجال الجراحة الصغرى، وذلك خلال القرن الثامن الهجري، حيث لُقب بعميد الجراحة الصغرى، وقد تبدت جهوده في سفره النفيس، الموسوم بـ: « الاستقصاء والإبرام في علاج الجراح والأورام».

ومن يقرأ بعض المؤلفات العلميّة الأندلسية، يرى إلى أيّ حد من التقدم العلمي والرقي الفني، بلغت مدارك أطباء العالم الإسلامي، حيث إن عدداً غير قليل من أعمالهم ومؤلفاتهم وتجاربهم العلميّة قد تُرجمت إلى عدة لغات أجنبية، وقد اعتبرت من أهم العناصر وأقوى الوسائل لانطلاق النهضة الأوروبية في القرون الوسطى، والحقيقة أن الطب والطبابة مهنة نبيلة، وممارسة حضارية، شرفها الله؛ عندما جعلها معجزة النبي عيسى عليه السلام، وقد عرفها الإنسان منذ الأزل من أجل مُعالجة الأمراض، والتخفيف من الآلام، والهدف من وراء ذلك معرفة سبب الألم، ومنشأ الأمراض وأسبابها، وقد أرجعها الإنسان البدائي الذي كان يتدرج نحو المدنية إلى وجود أرواح شريرة تارة، وإلى عقاب من الآلهة؛ بسبب المعاصي المرتكبة

تارة أخرى[1]، والحقيقة أن الطب قد بدأ بالممارسة، وانطلق التعليم الطبي بالكتابة، ولم تخل المحاولات الأولى من السعي إلى تقديم كتابة محدودة مدونة في سجلات قصيرة اتسمت بالاقتضاب، ومن خلالها تمكن المؤرخون من تحديد طبيعة تعامل الإنسان البدائي مع المرض؛ إذ كان في بعضه غيبياً يستعين على المرض كروح شريرة بالقرابين والأرواح والنجوم والتمائم، وفي بعضه الآخر واقعياً يبحث عن القدرة الشفائية في النبات والحيوان والحجر، واستخدام اليد الماهرة في جبر الكسور والكي، ويتبدى في الطب القديم الجانب المهني، وفي بعض الأحيان يظهر الجانب التشريعي من التطبيب، كما تقل الإشارات الخاصة بتعليم المهنة؛ بل كانت المهارات التطبيبية يتوارثها الكهنة، وربما أفراد الأسرة الواحدة لعشرات السنوات[2]، ويكاد يقع الإجماع على أن العرب في بداية الأمر كانوا لا يعرفون من الطب إلا التجريبي منه، والمقصود بالتجريبي ما حصل لهم معرفته بالتجربة من استعمال بعض النباتات والعقاقير، والاستفادة من خصائصها في معالجة الأمراض والجروح، والحق أن العرب يشتركون في هذا المقدار مع سائر الأمم التي نشأت على بساطة العيش في أول نهوضها، ويذكر العلاّمة حسن حسني عبد الوهاب أن العرب عرفوا -في شيء من المهارة- مباشرة الحجامة، والفصد، والكي، والكحالة-وهي معالجة أمراض العيون-، وفيما عدا ذلك لم يكن لهم إلمام متين بالطب المعروف في زمانهم، والمنتشر بين الشعوب المتمدنة المجاورة لبلادهم مثل الروم والفرس والهنود؛ حتى خرجوا من جزيرتهم في زمان الفتوح، وتوسعوا في ممالك العالم القديم، واختلطوا بغيرهم من أهل الحضارات السابقة، وأشركوهم في مصالح دولتهم الفتية، ولاسيما الأطباء منهم، ثم إنهم أخذوا في نقل علوم تلك الأمم إلى لغتهم، وابتدأت حركة النقل في الإسلام أوائل القرن الثاني للهجرة، وقد امتدت حركة النقل للمصنفات الطبية وغيرها من مدينة دمشق عاصمة الخلافة الأموية، إلى بغداد في عهد العباسيين، وهناك بلغت الحركة إلى ذروة العناية العلمية من كشف وتحليل وتمحيص وتطبيق؛ إلى أن فاقت كل الحركات الثقافية للأمم المتمدنة في العالم المعروف وقتئذ[3].

2. لمحة عن الطب الإسلامي والأندلسي:

عرف العلماء القدماء صناعة الطب والصيدلة، وقد جعلوهاً قسماً من أقسام العلوم الطبيعية يهتم بجسم الإنسان وقت الصحة، وأثناء المرض، وقد ركز المسلمون اهتمامهم على الطب، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من الأمم، ولذلك نلفي أن الكثير من الفقهاء عززوا معارفهم الشرعية بصناعة الطب، وما يتصل به من نفسانيات وصيدليات؛ فأخذوا ينهلون من المنبعين لضمان التوازن بين المادة والروح، ومن هذا المنطلق تم تشجيع الطب والصيدلة، وإفساح المجال للبحث فيهما، والقيام بالتجارب الميدانية، والملاحظة السريرية، والمشاهدة الإجرائية، وتذكر العديد من المصادر أن المسلمين تمكنوا من وضع الأسس المنهجية العلميّة، منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي؛ فركزوا على البحث النظري والتطبيقي؛ من أجل

[1] - رابح العوبي: الطبابة تاريخ وقواعد وأخلاق، ص:02.

[2] - قرشي محمد علي: التعليم الطبي في الأندلس في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، ص:223.

[3] - حسن حُسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربيَّة بإفريقية التونسيَّة، القسم الأول، ص:269.

معرفة وظائف الأعضاء، والإلمام بكل ما وصل إليه العلم الطبيعي، حيث إن الطبيب الجيد كما يذكر ابن رشد يجب عليه أن يُواصل البحث من خلال الاعتماد على المشاهدة والتجربة، وأن يصل إلى ما لم يصل إليه غيره، وقد كان الطبيب يخضع إلى ضوابط إسلامية في مهنته؛ حيث كان يفرض عليه إجراء اختبار كفاءة قبل مزاولة مهنة الطب، ويشترط أن يلتزم بالسلوك الحسن، وما تتطلبه المهنة من حرص وأخلاق وفطنة[1]. ونجد دراسات متعددة ومتنوعة تحدثت عن معالم الطب الإسلامي؛ تشير إلى أن مزايا التطبيب لدى أطباء الدولة الإسلامية هي التعليم والتعلم؛ عبر الرسائل والتجريب المحض، والمشاهدة السريرية، مع بسط المعرفة في كتب؛ بدأت صناعة أوراقها في بغداد في عام:794م، وانتشرت كتب الطب عبر الشام إلى إسبانيا وشمال إفريقيا، وأقيمت المكتبات، كما تسارع الطلاب إلى أماكن تعلم اللُّغة العربية، التي أضحت لغة العلم، ولأول مرة يصبح التعليم الطبي مهنة رسمية، والطبيب مؤهلاته هي المعرفة والعلم، وليس الحيلة والبركة، وقد انطلقت كتابات الطب في الحضارة الإسلامية بترجمة وتعميم كتب الإغريق لتصبح متوفرة للعامة، وقد كان التغيير في التطبيب كمياً ونوعياً في ذات الوقت؛ إذ كثر الأطباء في الدولة الإسلامية، وتنامت المكتبات، وازدادت الكتب المترجمة والمؤلفة، وتزايد عدد المستشفيات، ومنها الكثير التي تعد مستشفيات تعليمية[2]، وتُنبِّه بعض الدراسات التاريخية إلى أن بلاد المغرب وإفريقية التي كانت مرتبطة بالبلاد الأندلسية؛ نظراً لجملة من الأسباب والظروف قد تأخرت عن الاهتمام بالعلوم وتطبيقها إلى غاية منتصف القرن الثاني للهجرة، حيث إن حملة الغزوات والحروب المحلية منعت العرب من الاهتمام بالعلوم التطبيقية، ولم تبتدئ العناية بذلك إلا بقيام الوُلاَّة من (بني المُهلب) في افريقية، عُمَّالاً للخلافة العباسية، ويبدو أن أول طبيب-بالمعنى الصحيح- ظهر في البيئة الإفريقية هو الطبيب السرياني(أبو يوحنا ماسويه) المسيحي النحلة؛ حيث إنه قدم القيروان في صحبة الأمير يزيد بن حاتم المهلبي، وذلك في حدود عام:155هـ-(772م)، وقد كان يسهر على صحة الأمير، ويجالسه، ويتناول الطعام على مائدته، ويُعالج رجال الدولة وأعيانها، وقد كان(أبو يوحنا ماسويه) من بين الذين تعلموا في بيمارستان(جُنديسابور) في العراق، وأقام بعد ذلك يباشر المرضى في المنطقة مدة تزيد عن ثلاثين سنة، ثم اتصل بهارون الرشيد وخدمه بجهوده في الطب والعلم، وفي تلك المرحلة اتصل بالأمير (يزيد المهلبي)؛ الذي اشتهر بالكرم وحسن التدبير، والنجدة، وقد استصحبه في جملة من استصحب من العلماء الأجلاء إلى مدينة القيروان[3].

وفي البلاد الأندلسية؛ كان قيام الإمارة الأموية في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، ودخول

[1] - عبد العزيز فيلالي: الطب والصيدلة في الأندلس في القرن السادس الهجري(الثاني عشر الميلادي) أبو جعفر أحمد بن محمد الغافقي نموذجاً(ت:560هـ)، ص:245.

[2] - قرشي محمد علي: التعليم الطبي في الأندلس في القرن السادس الهجري(الثاني عشر الميلادي)، ص:225.

[3] - حسن حُسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربيَّة بإفريقية التونسيَّة، القسم الأول، ص:270.

الأمير عبد الرحمن الأول الأموي (138-172هـ/756-785م)، إلى الأندلس مصطحباً معه الطبيب(أبا إبراهيم الوليد المذحجي)، سبباً لانطلاق التأريخ لبداية الطب في الأندلس؛ فهذا الطبيب كان يحفظ صحته، ويحرص على علاجه، وهو أول من عُرف بصناعة الطب في الأندلس، وتذكر العديد من المصادر أنه «ليس لدى الباحثين معلومات حول ما إذا كان فيها قبل ذلك أطباء يعملون على وفق قواعد الطب في ذلك الوقت؛ بل إن القاضي صاعداً ذكر أن الأندلس قبل تغلُّب بني أمية عليها خاليةً من العلم، وبقيت على ذلك حتى توطَّد الملك لبني أمية بعد عهد أهلها بالفتنة، فتحرك ذوو الهمم منهم لطلب العلوم، وتنبهوا لإشارة الحقائق، ويذكر ابن جلجل أن بعض النصارى كانوا يتطببون في زمن الأمير عبد الرحمن الأوسط (206-238هـ/822-857م)، لكن لم تكن لهم بصارة بالطب، وإنما كان المعول عندهم على كتاب اسمه: (الأبريشم)، ومعناه المجموع أو الجامع»[1]

ومن بين الذين أسهموا في إثراء الطب بالأندلس خلال القرن الثالث الهجري؛ (عبد الملك بن حبيب السلمي الإلبيري)، الذي توفي خلال سنة: (238هـ/853م)؛ حيث ألّف مختصراً في الطب، وقد جاء على طريقة كتب الطب النبوي، وقد جمع فيه معلومات غزيرة عن الطب العربي القديم، والأغذية والأدوية والأمزجة والطبائع، كما حثَّ على التعرف بالمفيد من الثمار والألبان والزيوت والأشربة والرياحين، وحرص على إبراز فوائدها في العلاج، وفي أيام الأمير(محمد بن عبد الرحمن الأوسط238-267هـ/857-886م)، سافر العديد من الطلبة إلى المشرق للتزود من علوم أهله وخبراتهم، وقد ذكرت بعض المصادر التراثية أن أوَّل من اشتهر بصناعة الطب في الأندلس هو الطبيب(حمدين بن أبان)؛ الذي كان من أهل قرطبة، وله بها أصول ومكاسب، وقد اشتهر في عهد الأمير محمد الطبيب(جواد النصراني)؛ الذي تنسب إليه بعض مجربات الأدوية، إضافة إلى الطبيب(خالد بن يزيد بن رومان النصراني)؛ الذي كان بارعاً في الطب، وعالماً بالأدوية النباتية، والطبيب(أحمد الحراني)؛ الذي قدم من المشرق، وكانت عنده منجزات حسان في الطب، وبعدها اشتهر الطبيب النصراني(ابن ملوكة)؛ الذي كان في أيام الأمير عبيد الله، وأول دولة الأمير عبد الرحمن الناصر، وكان يفصد العروق[2].

3. أضواء على جهود أطباء من الأندلس:

لقد ذكر لوكلير أن القرن العاشر(الرابع الهجري)؛ يعد من أنصع القرون في إسبانيا العربية سواء من حيث دراسة الفنون، أم من حيث المؤسسات والمخترعات العلمية، وفي هذا الإبان برز(ابن جلجل) بصفته أعظم طبيب طبائعي في عصره، حيث عرَّب(مفردات ديسقوريدس)، وأضاف عليها الأدوية المعروفة عند العرب، والتي جهلها ديسقوريدس، كما كتب(تاريخاً للأطباء والحكماء) الذي ظهروا قبله في الأندلس، ومن بين الأدلة التي تُبيِّن مدى أهمية أطباء الأندلس في القرن الرابع، أن (محمداً بن عبدون القرطبي) دخل

[1] - محمود مصري ومحمد هشام النعسان: الجراحة في الطب الأندلسي، ص:19.

[2] - المرجع نفسه، ص:20.

مصر والبصرة، واهتم بعلم الطب، ودبر مارستان مصر ثم عاد إلى البلاد الأندلسية، سنة:360م، وقد وصفه صاعد بأنه تمهر في الطب، ونبغ فيه، وأحكم كثيراً من أصوله، ولم يكن يلحقه أحد بقرطبة في صناعة الطب، ولا يُجاريه في ضبطها، وحسن دربه فيها وإحكامه لغوامضها»[1].

ومن بين أطباء المغرب العربي الذين أفادوا من الطب الأندلسي الطبيب(دونش)؛ المعروف بأبي سهل دونش، ويُدعى عند اليهود(أدنيم بن تميم)، ويُنعت بلقب(الشَّفلُجي الاسرائيلي)، وقد ذكر العلاّمة(حسن حسني عبد الوهاب)، أنه قد ولد في القيروان أواخر القرن الثالث للهجرة، ونشأ نشأة علم وبحث؛ حيث قرأ على كبير أطباء زمنه، وهو(اسحاق بن سليمان الإسرائيلي)، وقد تخرّج عليه في الطب والفلسفة والحساب والنجوم، وأتقن اللُّغة العربية إتقاناً جيداً، كما برع كذلك في اللغة العبرية، وقد دارت بينه وبين أحبار اليهود بالأندلس مراسلات متنوعة، ومن بين الذين كانوا يُراسلونه من الأندلس الحكيم(حسداي بن اسحاق الإسرائيلي)؛ طبيب الأمير الحكم الثاني بقرطبة، وتذكر بعض المصادر أن وفاة الطبيب(دونش) كانت سنة: (360هـ/971م)، ومن بين الذين ترجموا حياته ابن البيطار الطبيب الأندلسي، ومن بين المؤلفات التي تركها الطبيب(دونش): «كتاب التلخيص في الأدوية المفردة»؛ وهذا الكتاب هو الذي ينقل عنه ابن البيطار، وفي آخر هذا التصنيف إيضاح للأوزان المستعملة في المادة الطبية في زمانه»[2].

ومن بين أطباء المغرب العربي؛ الذين أثروا في الطب الأندلسي(أحمد بن الجزار)، الذي كان الطبيب ابن جلجل الأندلسي مُعجباً به أيما إعجاب، ووصفه بأنه كان من أهل الحفظ والتطلع والدراسة للطب، وسائر العلوم، وحسن الفهم لها، ويذكر العلاّمة(حسن حسني عبد الوهاب) أنه يُستفاد مما حكاه ابن جلجل الأندلسي وغيره، أنه كان قد بنى عند باب داره محلاً مُستقلاً لعيادة الزائرين، واتخذ فيه قسماً خاصاً للصيدلة أقعد فيه غلاماً له يُسمّى: (رشيقاً)، أعد بين يديه جميع الأدوية من معجونات وأشربة ومراهم، وغير ذلك من المستحضرات، فإذا زاره المريض يفحصه مليًّا ثم يصف له ما يناسب من الأدوية، ويكتب ذلك في ورقة يتحوّل بها المريض إلى (رشيق)؛ فيُعطيه الدواء المشار به، ويقبض الثمن، وكان(أحمد بن الجزار) يتفقد في كل يوم قوارير الأدوية، ويرى ما ينقص منها، ويخرج من داره إلى تابعه رشيق مقدار الأدوية الناقصة، ويُحاسب غلامه على ما قبض من ثمن الأدوية المباعة، نزاهة بنفسه أن يأخذ من أحد شيئاً، وقد أشار ياقوت إلى أنه قد كان له معروف كثير، وأدوية يفرّقها على الفقراء، ومن أشهر الأطباء الذين تلقّوا العلم والعمل على(أحمد بن الجزار)؛ (أبو حفص عمر بن بريق الأندلسي)؛ حيث إنه قدم إلى القيروان ولازمه مدَّة، وأخذ عنه الصناعة، كما روى عنه تآليفه، ثم عاد بعد ذلك إلى الأندلس، وخدم أمراء بني أمية بالأندلس، ولاسيما (عبد الرحمن الناصر)؛ الذي استخلصه لنفسه، وبعد(أبو حفص عمر

[1] - عبد العزيز بن عبد الله: الأندلس والمغرب وحدة أم تكامل، دراسة منشورة في مجلة المناهل، ص:83.

[2] - حسن حُسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربيَّة بإفريقية التونسيَّة، القسم الأول، ص:297 وما بعدها.

بن بريق الأندلسي) هو الذي أدخل كتب أستاذه إلى جزيرة الأندلس، وتلقاها عنه جماعة من المختصين بالصناعة الطبية ما بين مسلمين ويهود ونصارى؛ فراجت كتبه أيما رواج، وتُرجمت إلى لغاتهم؛ حيث إن له مصنفات كثيرة في شتى العلوم والمواضيع، وأهمها في الطب، كتاب: «زاد المسافر وقوت الحاضر»في علاج الأمراض، وكتاب: «الاعتماد في الأدوية المفردة»، وكتاب: «البغية في الأدوية المركبة»، و«نصائح الأبرار»، و«قوت المقيم»، و«المعدة أمراضها ومداواتها»، و«أصول الطب»، و«الفرق بين العلل التي تشتبه أسبابها وتختلف أعراضها»، و«طب الفقراء والمساكين»، و«طب المشائخ»[1].

ويكاد يقع الإجماع على أن الطب والصيدلة، قد بلغا أوج ازدهارهما في البلاد الأندلسية؛ خلال القرن السادس الهجري/12م، وازدهر الإنتاج في ميدانهما حتى أصبح الغرب الإسلامي[2]، صاحب تجربة باذخة كان لها أثر كبير في مدرسة طليطلة إلى غاية إنشاء مدرسة ألفونسو العالم، وقد غلبت على الطب الإسلامي عموماً، والطب الأندلسي خصوصاً، على مدى القرون الستة الأولى للهجرة؛ المدرسة اليونانية التي تخضع الطب للفلسفة، وتجعله جزءاً منها، وفرعاً من فروعها ابتداء بقول جالينوس إن الطبيب الفاضل فيلسوف كامل، وقد ولع المسلمون بهذه النظرية، ونهضوا باعتمادها منذ انطلاقة إنتاجهم الفكري والعلمي، وخاصة في مجال استنباط الحقائق حول الجسم وطبيعته، والآفاق التي تجتاحه، والأدوية التي تبرئه، ويعتقد العديد من الدارسين أن هذا المذهب التوفيقي بين الطب والفلسفة، كان له أثره العميق في تطور الطب والصيدلة وفهمهما، وكان جل الأطباء إلى غاية القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، يُقسمون الطب إلى علم نظري، وعلم عملي، غير أنهم لا يخرجون العلم العملي على العلم النظري، كما بيّن هذا الأمر (ابن سينا) في كتابه: «القانون»[3]

إن أبرز طبيب عربي ظهر في الأندلس في القرن الرابع هو(أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي)؛ صاحب كتاب: «التعريف لمن عجز عن التأليف »، وقد وصفه أحد الجراحين الغربيين بالقول: «لا شك أن (الزهراوي) أعظم طبيب في الجراحة العربية وقد اعتمد واستند إلى بحوثه جميع مؤلفي الجراحة في القرون الوسطى»، ويوصف كتابه بأنه اللبنة الأولى في هذا الفن، وهو أول من ربط الشرايين، ووصف عملية تفتيت حصاة المتانة، واستخرجها بعملية جراحية، وعالج الشلل، وهو أول من استعمل خيوط الحرير في العمليات الجراحية، وقد وصف(لوكلير) الطبيب(الزهراوي) بأنه أعظم ممثل لعلم الجراحة في

[1] - حسن حُسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربيَّة بإفريقية التونسيَّة، القسم الأول، ص:297 وما بعدها.

[2] - يُقصد بالغرب الإسلامي تلك المناطق الممتدة غرب مصر حتى المحيط الأطلسي، وهي تنقسم إلى المغرب الأدنى(تونس وليبيا)،ثم المغرب الأوسط (الجزائر)،وصولاً إلى المغرب الأقصى، فالبلاد الأندلسية المتمثلة في شبه جزيرة إيبيريا، والتي تشمل اليوم إسبانيا والبرتغال، وهي إقليم يتميز بشساعته، واتساعه.

[3] - عبد العزيز فيلالي: الطب والصيدلة في الأندلس في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) أبو جعفر أحمد بن محمد الغافقي نموذجاً(ت:560هـ)، ص:246 وما بعدها.

المدرسة العربية، والظاهرة التي لفتت انتباه العديد من الباحثين، والتي امتاز بها كتاب التعريف للزهراوي؛ هو إدراجه بإزاء النصوص صور الآلات، وهو أول تعبير للجراحة كعلم[1] .

ويوصف(الزهراوي) بأنه«الطبيب الجراح الصيدلاني، شيخ جراحي الأندلس، وأحد الأطباء الذين استفادت منهم جامعات أوربة اللاتينية، واعتمدت على كتبهم في تدريس الطب وممارسته مدة تزيد على خمسة قرون، والناظر في كتاب الزهراوي يرى في شخصية هذا الرجل الأدب والرحمة بالمرضى، والحرص على مصلحتهم، والرفق بالتلاميذ، وأول من ترجم للزهراوي هو علي بن أحمد بن حزم(454هـ/1063م)؛ حيث قال في معرض تعداد مؤلفات الأندلسيين في الطب: (كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي، وقد أدركناه وشاهدناه، ولئن قلنا إنه لم يؤلف في الطب أجمع منه، ولا أحسن للقول والعمل في الطبائع لنصدقن)، وعدَّه من بين أربعة علماء من الذين تفوقوا في الأندلس»[2].

وبالنسبة إلى مكانة الزهراوي العلميّة؛ فقد أشارت دراسات عربية وغربية إلى أن الزهراوي لم يتبع منهج أهل عصره في التنويع من العلوم والتأليف فيها، وإنما تخصص في علم الطب وحده، وكان من أكبر جراحي العرب، وأستاذ الجراحة في أوروبا حتى القرن السابع عشر الميلادي، وكان ظهور أفكاره بمثابة تحول في طرائق العلاجات الطبية، وقد كان بحق من أوائل المساهمين في تطور الطب العالمي والجراحة الطبية، وقد ذكرت بعض الدراسات أن الزهراوي تأثر بمن سبقه من العلماء اليونانيين والسريانيين والهنود والعرب المسلمين، وأخذ عنهم المعارف الطبية، وأضاف إليها بفضل جهوده وعمقه وخبرته، كما صحح بعض الأخطاء التي لاحظها من خلال التجربة والتطبيق، وقد اتصف نقله بالدقة، والأمانة في نسبة الكلام إلى أصحابه، حيث إنه كان يذكر اسم العالم الذي يأخذ عنه[3].

وبالنسبة إلى كتابه التصريف، فيوصف بأنه« أول كتاب علمي مصور في تاريخ الطب، ويتسم بالوضوح والبعد عن النظريات، وقد صرف كتاب الزهراوي هذا الناس عن كتب أبقراط وجالينوس وبولس الأجانيطي، بعد أن وضع الزهراوي فيه خلاصة تجاربه لخمسين سنة، وقد تكلم الزهراوي في الكتاب على التشريح والطب العام والجراحة في المقالة الأولى والثانية والأخيرة، وتناول في المقالات الأخرى أبحاثاً صيدلانية بحتة...، وفي الحقيقة أن الزهراوي لم يشتهر في العالم العربي إلا بعد ترجمة كتاب التصريف إلى اللاتينية، وشهرته في أوروبا، ولاسيما أن أطباء الأندلس والمغرب ممن استفادوا مما ورد في كتابه كالغافقي، والإدريسي، وابن ميمون وابن البيطار لم ينوهوا بذكر الزهراوي، وقد ارتفع الزهراوي بفن الجراحة إلى القمة، ومهَّد باختراعه عدداً من الآلات الجراحية، والأساليب الفنية لظهور آلية الفن

[1] - عبد العزيز بن عبد الله: الأندلس والمغرب وحدة أم تكامل، المرجع السابق، ص:84.

[2] - محمود مصري ومحمد هشام النعسان: الجراحة في الطب الأندلسي، ص:67 وما بعدها.

[3] - المرجع نفسه، ص:72 .

الجراحي الذي بلغ أهمية عظمى في عصرنا الحالي»[1].

وقد ذكر الباحث (محمود مصري) و(محمد هشام النعسان)، في كتاب: «الجراحة في الطب الأندلسي»، أن في مجال جراحة المسالك البولية؛ كان الزهراوي أول جراح أجرى عملية غسيل للمثانة بوساطة جهاز اخترعه، يعرفه اليوم البشر كافة على وجه البسيطة، وهو المحقن، وفضلاً على ذلك، فهو أول من وصف عملية لتفتيت الحصاة مستخدماً آلة ما زال اسمها باللغة الانجليزية هو الاسم نفسه الذي أطلقه عليها الزهراوي: الكلاليب، وفي جراحة التجميل يحق اعتباره رائدها الأول؛ فالتعليم بالمداد أول خطوة من خطوات العملية الجراحية، واستخدام الصنابير يوضح مدى احترامه للأنسجة، وطريقته في علاج الزوائد الأنفية تنم عن عبقرية فذة، وهو أول من اخترع جهازاً لاستئصال اللوزتين،-مقصلة اللوز-، وفي جراحة الفم والأسنان، كان أول من مارس جرد الأسنان وتقويتها، واخترع كثيراً من الآلات التي ما زالت تستخدم حتى اليوم، وهو أول من حاول نقل الأعضاء، ويعتبر الزهراوي كذلك؛ أول من وصف الناعور(الهيموفليا)، حيث إنه قد شاهد عدة حوادث نزيف في أسرة واحدة وعالجها بالكي[2].

كما يعد الطبيب(أحمد الغافقي)من أعظم الصيدليين أصالة، ومن أكثر الذين برعوا في مجال علم النباتات خلال العصور الوسطى، وقد صنف كتاباً جمع فيه أقاويل القدماء والمحدثين، وقد درس الطب والصيدلة في الأندلس، ولم يبرحها تماماً، وقد أجمعت الدراسات التي تطرقت إلى مكانته العلميّة على أنها تتسم بدقة والعمق، وأن كتاب الأدوية المفردة؛ يُمثل مرحلة انتقال دراسة النباتات من أجل إبراز فوائدها العلاجية، ودراستها دراسة علميّة محضة تُبيّن خصائصها، وأنواعها، وأماكن وجودها، والطريقة التي اتبعها فريدة من نوعها، ولم يسبقه إليها السابقون، وكثرة المصادر التي اعتمد عليها، وغزارة مادته التي عالجها في كتابه؛ جعلته كتاباً جامعاً وشاملاً بالمعنى الدقيق لشتى العلوم والمعارف المتصلة بالأدوية المفردة منذ العصور القديمة، ووصولاً إلى عصره، كما أغنى الغافقي معارفه بالملاحظات والتجارب الشخصية التي كان ينهض بها، وقد حظي كتابه الأدوية المفردة بعناية فائقة من لدن العديد من الباحثين والدارسين[3].

وقد امتلأ القرن السادس للهجرة(الثاني عشر للميلاد) بشهرة آل زُهر في الطب، حيث يقول العلاّمة (عمر فروخ) في هذا الصدد: «كان أولهم أبو مروان عبد الملك بن مروان، وكان بارعاً في الطب، زار مصر وقضى فيها زمناً يطبّب، ثم عاد إلى الأندلس وسكن دانية في أيام مجاهد العامري(408-432هـ)، بعد ذلك انتقل إلى اشبيلية، وبقي فيها إلى أن توفي نحو سنة: (470هـ-1077م)، ومنهم أبو العلاء زهر بن عبد الملك

[1] - محمود مصري ومحمد هشام النعسان: الجراحة في الطب الأندلسي، ص:76 وما بعدها.

[2] - المرجع نفسه، ص:86 وما بعدها.

[3] - عبد العزيز فيلالي: الطب والصيدلة في الأندلس في القرن السادس الهجري(الثاني عشر الميلادي) أبو جعفر أحمد بن محمد الغافقي نموذجاً(ت:560هـ)، ص:250 وما بعدها.

بن محمد(ت:525هـ-1131م)، برع في الطب، ولمّا يزل في أول شبابه، وكان يرى المريض فيجس نبضه، ويرى قارورة الماء ثم يخبره بما يحس به من غير أن يسأله شيئاً، ومع ذلك فقد كان بارعاً في المداواة وله فيها نوادر غريبة، أما أشهر آل زُهر فهو أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء(ت:557هـ-1162م)، وكان طبيباً بارعاً جداً لم يعمل إلا في الطب، ثم كانت له عناية بالمداواة ورعاية المرضى، ومنهم الحفيد أبو بكر بن زهر(ت:596هـ-1199م)، وكان عالماً أديباً طبيباً وشاعراً»[1].

وقد ذكرت بعض المصادر أن (أبا العلاء زهر بن زهر) هو أول طبيب أندلسي ورد على المغرب بعد استيلاء المرابطين على الأندلس، وقد كان طبيباً خاصاً ليوسف بن تاشفين بعد أن كان طبيب المعتمد بن عباد بإشبيلية، وقد تمخضت تجاربه العلمية في مجال الطب في المغرب، عن تأليف كتاب: «التذكرة»، وهو مجموعة من الملاحظات التي دبجها لولده ابن زهر، من أجل تعريفه بالأدواء الغالبة في مراكش، والأدوية المناسبة، كما أن هناك «رسالة في أمراض الكلى» كتبها أبو العلاء لعلي بن يوسف، وولده(أبو مروان عبد الملك بن زهر)خدم المرابطين مثل والده، وألف كتاب: «الاقتصاد»لإبراهيم بن يوسف، وقد تحدث في هذا الكتاب عن أطباء عصره؛ حيث ذكر أنهم يختلفون في الاعتناء بالمرضى، وأن الناس يجهلون الطب؛ لأن الطبيب الذي يستشيره مريض من المرضى يبادر فيصف له دواء من الأدوية دون تمحيص للحالة في مختلف خواصها[2].

وقد ذكر الباحث (عبد العزيز بن عبد الله) أن ابن زهر ذكر أنه استدعي«يوماً من الأيام لدى أمير مرابطي فوجد جماعة من الأطباء شباباً وشيوخاً لم يسبق له أن تذاكر معهم، ولكنه تأثر بتجربتهم فجرت المذاكرة حول الداء الذي يشكو منه الأمير، فبادر الأطباء الحاضرون، ووصف كل منهم دواء فلم يوفق في نظر ابن زهر سوى واحد منهم، ومع ذلك لم يدرك سبب الداء، ومما امتاز به وخالف فيه أطباء عصره الأقدمين أنه كان يستعمل الفصد للشيوخ من سبعين سنة فأقل، وللأطفال كذلك؛ حيث فصد ابنه من ثلاث سنوات فأدهش معاصريه، وكان والده أبو العلاء يوصي ببطيخ فلسطين في أمراض الكبد، ويعالج بجس النبض والنظر إلى قوارير البول، وقد سبق لعبد المؤمن أن اختصه لنفسه، وعول عليه في الطب، وله ألف(الترياق السبعيني)، وأنبت كرمة عنب كان يسقيها من ماء مسهل لكراهية عبد المؤمن لشرب المسهلات يعطيه من ثمارها، وقد ألف له كذلك(كتاب الأغذية)، و(كتاب التيسير) قد كتبه أبو مروان بن زهر بطلب ابن رشد كتذييل لكتاب(الكليات)، وقد ذكر ابن زهر في آخر كتابه أن الشخص الذي كلفه بمراقبته في التأليف لم يرقه الكتاب؛ لأنه يخالف التعليمات الصادرة إليه، ولأن فهمه يعسر على من ليس

[1] - عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، منشورات دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط:04، نيسان-أفريل1983م، ص:592.

[2] - عبد العزيز بن عبد الله: الأندلس والمغرب وحدة أم تكامل، المرجع السابق، ص:89 وما بعدها.

عنده مسكة من الطب لذلك ألحق ابن زهر(الجامع) بآخر الكتاب»[1].

وقد ذكر ابن أبي أصيبعة ستة كتب لابن زهر، هي:

1-كتاب التيسير في المداواة والتدبير، الذي ألفه للقاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد.

2-كتاب الأغذية، الذي ألفه لأبي محمد عبد المؤمن بن علي.

3-كتاب الزينة الذي ألفه لابنه أبي بكر.

4-التذكرة في أمر الدواء المسهل؛ التي ألفها لابنه أبي بكر ليذكره بمبادئ العلاج المسهل، وطرائق متابعته.

5-مقالة في علل الكلى.

6-رسالة في علتي البرص والبهق الموجهة لبعض أطباء إشبيليا.

وعن كتاب: «الاقتصاد في إصلاح النفوس والأجساد»، تذكر الباحثة(فضيلة بوعمران): «في مقدمة هذا الكتاب المحفوظ بالمكتبة الوطنية الفرنسية بباريس، يصرح ابن زهر أنه أهداه إلى إبراهيم بن يوسف بن تاشفين مشيراً إلى أنه أراد أن يجعل منه جملة مختصرة تجمع بين الطريقتين العلاجية والوقائية، وتكون بين يدي الأمير كتذكرة للمواد التي تتضمنها باختصار وينتفع بها مجلسه، ويحتوي الكتاب على سبع مقالات فهذا التقسيم إلى أجزاء متشابهة الحجم(وهذا ما يفسر العنوان)راجع إلى أن الكتاب أعدّ ليقرأ بالتقسيط بحضور أعضاء مجلس الأمير، ويهدف هذا الكتاب إلى تعميم بعض المفاهيم، وبخاصة ما يتعلق بالعلاج، ويُميز ابن زهر بين قسمين في الطب: أولاً ما يسميه الطب الذي يهدف إلى علاج الأمراض، وهذا ما يعرف اليوم بالطب العلاجي، وثانياً ما يُسميه الرتبة التي تهدف إلى السعي إلى تجنب الأمراض بفضل الترتيب الجيد للحياة، وهذا ما يُعرف اليوم بالطب الوقائي، كما أشار إلى نوعين من الطب، النوع الموجه للجسد، والنوع الموجه للنفس، مضيفاً أن الأول معروف، وأن الثاني أعظم وأهمّ» [2].

ويذكر الباحث (محمد هشام النعسان) أن ابن زهر من أوائل الأطباء الذين أبرزوا قيمة العسل الدوائية والغذائية، كما أنه من أوائل الذين عنوا بدراسة الأمراض المتوطنة في بيئة معينة، وهذا ما يتجلى في تذكرته لابنه أبي بكر؛ حيث تكلم فيها عن الأمراض التي كانت تحدث كثيراً في مدينة مراكش، ووصف التهاب التامور، وخراج الحيزوم، كما وصف بإسهاب عملية رفع الحصى من الكلية، وعملية فتح القصبة الهوائية، ومن أبرز أسباب احتلال ابن زهر لهذه المكانة العلمية المرموقة؛ أنه قد تجرد من التقليد، فمع أنه كان جالينوسي المذهب؛ إلا أنه كانت له شخصيته المستقلة، فقد كان يعتمد في كل أعماله على أساليب الاختبار والتجربة والقياس، وهذا ما أثمر كشفه عن أمراض جديدة لم تدرس قبله، إضافة إلى

[1] - عبد العزيز بن عبد الله: الأندلس والمغرب وحدة أم تكامل، المرجع السابق، ص:91.

[2] - فضيلة بوعمران: الحضارة الإسلامية بالأندلس في القرن8هجري/القرن12م، ص: 185.

اعتماده على دقة الدراسة السريرية في تشخيص الأمراض ومداواتها، وكذلك تخصصه في علم الطب وانقطاعه إليه، وذلك بعد تمكنه من سائر العلوم[1].

كما يُنبّه الباحث (محمد هشام النعسان) في الكتاب الذي ألفه بالاشتراك مع الباحث (محمود مصري)، والموسوم بـ: «الجراحة في الطب الأندلسي» إلى أنه قد قام بجمع ما نُسب إلى ابن زهر من مؤلفات في كتب التاريخ والتراجم؛ فكانت الحصيلة على النحو الآتي:

1-كتاب التيسير في المداواة والتدبير: الذي ألّفه لأمير إشبيلية، وهو يعد أضخم كتبه وأشهرها، وقد تحدث في هذا الكتاب عن أطباء عصره؛ فذكر أنهم يختلفون في الاعتناء بالمرضى، وأن الناس يجهلون الطب؛ لأن الطبيب الذي يستشيره مريض من المرضى، يُبادر فيصف له دون تمحيص للحالة في جميع خواصها.

2- الأغذية والأدوية: ويرجع سبب تأليف هذا الكتاب إلى أمر من الأمير عبد المؤمن الموحدي، وتوجد من هذا الكتاب عدة نسخ مخطوطة.

3-الاقتصاد في صلاح الأنفس والأجساد: وقد قام ابن زهر بتأليف هذا الكتاب عام:515هـ، لإبراهيم بن يوسف بن تاشفين، وتوجد منه عدة نسخ مخطوطة منها نسخة بالخزانة الحسنية في الرباط.

4-كتاب الزينة: وهو مفقود، ويعتقد بعض الباحثين أنه هو كتاب الاقتصاد نفسه.

5-تذكرة إلى ولده أبي بكر في أمر الدواء المسهل وكيفية أخذه.

6-مقالة في علل الكلى.

7-رسالة في علتي البرص والبهق؛ وقد كتب هذه الرسالة إلى أطباء إشبيلية.

8- تذكرة في علاج الأمراض؛ كتبها لابنه أبي بكر عندما شغف بالطب، وتعلق بعلاج الأمراض.

9-تفضيل العسل على السكر؛ وهذا الكتاب موجود في المكتبة العبدلية، ويذكر الباحث (محمد هشام النعسان) أنه لم يذكره أحد من مؤرخي العلوم، وقد نشر الخطابي فصولاً منه في كتابه: «الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية».

10-القانون: ألّفه للخليفة الموحدي، وهو موجود في المكتبة العبدلية، ولم يذكره أحد من مؤرخي العلوم.

11-الترياق السبعيني: وقد ألّفه للخليفة الموحدي عبد المؤمن، ونهض باختصاره عشارياً، واختصره كذلك سباعياً، ويُعرف هذا الكتاب كذلك بترياق الأنتلة[2].

---

[1] - محمود مصري ومحمد هشام النعسان: الجراحة في الطب الأندلسي، ص:110.

[2] - المرجع نفسه، ص:111 وما بعدها .

4. خاتمة

يُجمع الدارسون-أو يكادون- على أن طبيعة براري الأندلس المتنوعة، وجبالها الغنية بشتى أنواع النباتات؛ قد شجعت أطباء الأندلس على التعمق والتوسع في ميدان البحث في الأعشاب والأدوية، كما أنهم أفادوا من مؤلفات القدماء، مثل كتاب: «الأدوية المفردة» لأبي جعفر الغافقي؛ الذي نهض بتلخيصه ابن العبري، وقد وصل إلينا التلخيص دون الأصل، ومثل كتاب: «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية»لابن البيطار؛ الذي ألّفه في مصر، وصار منذ ذلك الزمن عمدة الذين يشتغلون بهذا الفن، وقد اختصره ابن جزلة (755هـ/1354م)، وقد سُمي المختصر: «ما لا يسع الطبيب جهله»، واختصره كذلك محمد بن يحي العزفي(786هـ/1366م)، في كتاب وسمه بـ: «الاكتفاء في طلب الشفاء»، وقد لاحظ العديد من الباحثين الذين أرّخوا للطب الأندلسي؛ أن عدداً غير قليل من أطباء الأندلس، قد اهتموا بما يكثر حدوثه في بلادهم من الأمراض البلدية؛ فهذا الطبيب الزهراوي يصف حالة من حالات الناعور عند أسرة في البلاد الأندلسية، وهذا الطبيب الكبير ابن زهر يشير إلى جملة من الأمراض التي كثيراً ما تحدث في مراكش، وهذا ما نلفيه عند الطبيب محمد اللخمي الشقوري في كتابه: «تحفة المتوسل»، وقد تبدت عناية علماء الأندلس بالوقاية وحفظ الصحة في أكثر مؤلفاتهم، وقد خصص بعضهم كتباً كاملة لموضوع محدد في هذا الشأن، مثل: ابن الخطيب السلماني، وابن خلصون، وقد انفرد بعض علماء وأطباء الأندلس بالتأليف في الوباء وأسبابه، وأصنافه، وطرائق الوقاية منه، ومن بين هؤلاء الطبيب ابن خاتمة الأنصاري؛ الذي خصص كتاباً مُستقلاً للحديث عن وباء الطاعون؛ الذي اجتاح عدة جهات من العالم، سنة: (749هـ/1347م)، ويعد ابن خاتمة أول طبيب في العالم عني عناية خاصة بوصف وباء الطاعون وصف شاهد عيان، وقد ركز على علاماته وأصنافه وعلاماته ووسائل الوقاية منه، وقد أشار إلى بعض الحالات التي عالجها، ومن بين الأندلسيين الذين كتبوا في هذا الموضوع ابن الخطيب السلماني، ومحمد الشقوري اللخمي[1].

وقد وسم ابن الخطيب كتابه بـ: «مقنعة السائل عن المرض الهائل»؛ وهي رسالة طبية تطرق فيها ابن الخطيب للطاعون الذي حل بالأندلس، وحوض البحر الأبيض المتوسط في سنة: (749هـ/1347م)، أما كتابه المتصل بحفظ الصحة، فعنوانه: «الوصول لحفظ الصحة في الفصول»؛ وهو كتاب طبي تذكر المصادر أنه ألفه سنة:771هـ بغرناطة، وتُشير دراسات كثيرة إلى أن الأندلسيين كانوا أول من جعل من علم الجراحة علماً قائماً بذاته متصلاً بمعرفة التشريح؛ فالزهراوي هو أول من أفرد الجراحة والجبر بمقالة تؤلف جزءاً كاملاً من موسوعته الطبية الكبرى، وقد امتاز أطباء البلاد الأندلسية غالباً في مؤلفاتهم بالدقة في المصطلحات، ووضوح العبارة فيما صنفوه؛ حيث لاحظ العديد من علماء اللُّغة العربيّة أن ابن زهر وابن رشد كانا يكتبان بلغة عربية سليمة، تتسم بميلها إلى الاختصار والاقتضاب والقصد في التعبير؛

[1] - محمود مصري ومحمد هشام النعسان: الجراحة في الطب الأندلسي، ص:33 وما بعدها .

بل إن بعض المؤلفات تكاد تكون كتباً أدبية، كما تجد ذلك عند ابن طلموس، وابن خلصون، وابن خاتمة، وابن الخطيب، والشقوري، وقد كانت الأندلس الطريق الرئيس؛ الذي انتقلت منه العلوم إلى أوروبا، وذلك من خلال التعايش بين المسلمين واليهود والنصارى من جهة، ومن جهة أخرى بسبب الترجمة إلى اللغات الأوروبية، والتي انطلقت في منتصف القرن العاشر الميلادي[1]؛ فالأندلس العربية تحتل موقعاً متميزاً في العطاء الحضاري الإنساني، والعالمي، فمما لا يشوبه ريب، ولا يخامره شك أن دولة الإسلام في الأندلس قد أرست دعائم حضارة باذخة؛ تعايشت فيها الأجناس والأديان، وتثاقفت فيها اللغات والثقافات، وانصهرت فيها الطاقات على تنوعها؛ فأثمرت مجتمعاً حياً متفاعلاً، مبدعاً تحققت للإنسان فيه، كإنسان كرامته، وكفلت له حريته وحقوقه، وثمن سعيه وعطاؤه، ولعل أبرز جوانب هذه الحضارة قيمة وإشراقا، ما يتعلق بمسألة التسامح الذي ساد الأندلس الإسلامية تجاه النصارى واليهود الذين كانوا يشكلون شريحة مهمة من شرائح المجتمع الأندلسي؛ فقد عاش اليهودي والنصراني إلى جنب المسلم؛ حياة ملؤها التآزر والتعاطف والتراحم والمشاركة الفاعلة المثمرة، ولقد شكّلت الفسحة الأندلسية حيّزًا إنسانيا ممتازًا للحوار والتفاعل بين الأديان السماوية الثلاثة، وأكثر منها فقد شهدت هذه الفسحة العصر الذهبي للثقافة العبرية التي اتخذ شعراؤها وأدباؤها وعلماؤها ومفكروها العربية أداة تعبير وتواصل وتفكير دوّنوا بها خير ما جادت به قرائحهم. بل إنَّ كثيرا من النّصارى واليهود والصقالبة احتَلّوا مراكز سامية في الحكم، وتبوأوا مراتب ممتازة في الحياة العامة، فكان منهم الوزراء والشعراء والشاعرات والأطباء والموسيقيون . وقد بدا الأندلسيون في الأعين منصفين بأمّ فضائل المدنية، فضيلة التسامح المطلق، والحوار والتفاعل مع العناصر الأخرى لدرجة أثارت إعجاب الأعداء قبل الأصدقاء على نحو ما ذهب إليه غوستاف لوبون[2]، غير أن هناك من تنكَّر للدور الذي قامت به الحضارة العربية الإسلامية الأندلسية في نهضة أوروبا في مجال الطب؛ حيث يذكر كرومبي في كتابه: «العلوم في القرون الوسطى» أن روجير مدين للأطباء البيزنطيين، وبولس الأجانيطي أكثر مما هو مدين للأطباء العرب، وهذا القول في الحقيقة مجحف لا يُطابق الواقع لجملة من الأسباب؛ من بينها أن جميع العلوم اليونانية وغيرها وصلت إلى الغرب عن طريق العرب، وأن روجير ساليرنو كان يُعالج المرضى على الطريقة العربية باستعمال المراهم والذرورات والرفائد والخرق والرباط، وهي الطريقة الشائعة عند العرب،[3] ولاسيما في حالات النزيف.

[1] - محمود مصري ومحمد هشام النعسان: الجراحة في الطب الأندلسي، ص:33 وما بعدها .

[2] - إبراهيم القادري بوتشيش: المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس، نموذج من العطاء الحضاري الأندلسي ،ص:22،وما بعدها.

[3] - بومدين كروم: ملامح الحوار الديني في الحضارة الأندلسية، ص:21 وما بعدها.

5. قائمة المراجع:

• المؤلفات:

1-بوعمران، فضيلة،2008م، الحضارة الإسلامية بالأندلس في القرن8هجري/القرن12م، الجزائر، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى.

2-حسن، حُسني عبد الوهاب،1965م، ورقات عن الحضارة العربيَّة بإفريقية التونسيَّة، تونس، منشورات مكتبة المنار.

3- العوبي، رابح، 2003م، الطبابة تاريخ وقواعد وأخلاق، الجزائر، منشورات مؤسسة المعارف للطباعة والنشر.

4- فروخ، عمر ،1983م، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، لبنان، منشورات دار العلم للملايين.

5- فيلالي، عبد العزيز:2008م، الطب والصيدلة في الأندلس في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) أبو جعفر أحمد بن محمد الغافقي نموذجاً(ت:560ه)، الجزائر، منشورات دار المعارف العلميّة.

6- قرشي، محمد علي،2008م، التعليم الطبي في الأندلس في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، الجزائر، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى.

7-كروم، بومدين،2007م، ملامح الحوار الديني في الحضارة الأندلسية، الجزائر، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر.

8- مصري محمود ومحمد هشام النعسان، 2005م، الجراحة في الطب الأندلسي، الإمارات العربية المتحدة، منشورات المجمع الثقافي لمدينة أبو ظبي.

المقالات:

1- بن عبد الله، عبد العزيز، 1984م، الأندلس والمغرب وحدة أم تكامل، مجلة المناهل، مجلة دورية تصدرها وزارة الشؤون الثقافية بالمغرب الأقصى، العدد:12، ص:84-119.

2- (بوتشيش) إبراهيم القادري،1994م، المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس، نموذج من العطاء الحضاري الأندلسي،مجلة دراسات أندلسية،عدد:11، ص:19-56.

3-(بوفلاقة) سعد،2005م، حوار الثقافات في الغرب الإسلامي، مجلة المنار الجديد، عدد مزدوج32/31، ص:47-89.

Bibliography List

1.Books:

1- Bouamran, F. 2008. Islamic Civilization in Andalusia in the 8th century Hijri/12th century. Algeria, publications of the Supreme Islamic Council.

2- Hassan, H. 1965. papers on Arab civilization in Tunisia. Tunisia, Manar Library publications.

3-Al-Aoubi, R. 2003. Medicine History -Rules and Ethics-. Algeria, Al-Ma'araf Foundation Publications for Printing and Publishing.

4- Faroukh, O. 1983.History of Arab Thought to the Days of Ibn Khaldoun. Lebanon, Dar al-Alamlilmalayin publications.

5-fillali, A. 2008. Medicine and Pharmacy in Andalusia in the 6th century Hijri (12th CE) Abu Jaafar Ahmed bin Mohammed Al-Ghafqi Model (T: 560H), Algeria, Dar Al-Maaref Al-Ilmia publications.

6-Karshi, M. 2008. Medical Education in Andalusia in the 6th century Hijri (12th CE). Algeria, publications of the Supreme Islamic Council.

7-Krom, B. 2007.Features of religious dialogue in Andalusian civilization. Algeria, publications of the Supreme Islamic Council of Algeria

8-Masri, M;& Al-Na 'asan, M. 2005. Surgery in Andalusian Medicine. United Arab Emirates, publications of the Cultural Complex of Abu Dhabi.

2.Articles:

1-Bin Abdullah, A .1984. Andalusia and Morocco unified nationa. Al-Manhal magazine, periodical magazine published by the Ministry of Cultural Affairs of the Far Maghreb, No. 12, pp. 84-119.

2-Buchish I. 1994. Almoravids and the policy of tolerance of proponents of Andalusia, a model of Andalusian cultural tender, Journal of Andalusian Studies, No. 11, p. 19-56.

3-Boufalaka ,S. 2005. Dialogue of Cultures in the Islamic West. Al-Manar Al-Jadeed magazine, dual issue 31/32, pp. 47-89.